السنة السادسة والخمسون وثلاث مئة

فيها عُمل يوم عاشوراء ما عُمل في السنين الماضية، ومات سيف الدولة بن حَمْدان في صفر، ومات مُعزُّ الدولة في ربيع الآخر، وقبض أبو تَغْلب الغَضَنْفَر على أبيه ناصر الدولة في جُمادى الأولى، وكان قد ساءت أخلاقُه، وتَغَيَّرت أحوالُه، فقبضه وهو نائم في فراشه، وبعث به إلى القلعة المعروفة بكواشى، وأنفذ معه أخاه أبا البركات بن ناصر الدولة مُوَكَّلاً به ـ وهو أمرد ـ وطريف الخادم، فانتبه وهو محمولٌ على فراشه، ورآهم متوجّهين به إلى ناحية دجلة فقال: أتريدون أن تُغرقوني؟ فقالوا: لا، ولكن نَمضي بك إلى القلعة، فقال: غَطُّوني حتى أنام.

ولما وصل إلى أسفل القلعة حملوه وأصعدوه، وكانت عادتُه إذا جاء إلى هذه القلعة، وأصعَدَه إليها أهلُها؛ أعطى كلَّ واحد خمسةَ دنانير، فلما رَقوه في هذه النَّوبة وقفوا ينتظرون ما جرت به العادة، ولم يعلموا أنه مَقبوضٌ عليه، فقال لهم: أي شيءٍ تريدون؟! فوالله لقد أصبحتُ لا أملك لا صَفراء ولا بيضاء، فانصرفوا عنه.

وكان الغَضَنْفَر قد طالب أباه بميراثه من أمِّه الكردية ـ وهي فاطمة بنت أحمد بن علي الكردي ـ فتهدَّد بمكروه، وخاف منه.

ولما بعث به إلى القلعة أمر مَن يَحفظُه أن لا يُجيبه عن شيءٍ يسأله عنه البتّة، وكان قد وَكَّل به في القلعة رجلاً من الأكراد شديدَ البُغْضِ له، وخادماً كان بهذا الوصف له طَرَده دفعات، وكان إذا سألهما عن خبر أولاده وخبر أبي تَغْلب، وأين هو، وأي شيء يعمل؛ يُجيباه بغير هذا فيقولان: تُريد أن تأكل، تريد أن تشرب!؟ فيقول: ليس عن هذا سألتُكم، فيقولون: بهذا أُمِرْنا أن نُخاطبك لا غير، فكان هذا أمرَّ عليه من الحبس.

وفي شعبان خُلع على القاضي أبي محمد عُبيد الله بن أحمد بن مَعروف، وقُلّد القضاء بالجانب الغربيّ من مدينة السلام، ومدينة أبي جعفر، وحَريم دار السلطان، وقُلّد القاضي أبو بكر أحمد بن سيَّار القضاءَ مما بقي من الجانب الشرقي من بغداد، وبعد مُدَيدة قُلِّد القاضي ابن مَعروف الإشرافَ على الحكماء[1] على ما ذكرنا أنه قُلّده من القضاء[2].

---

(١) كذا، وفي المنتظم ١٤/ ١٨٢: الإشراف على الحكم والحكام.

(٢) من قوله: وقبض أبو تغلب الغضنفر... إلى هنا ليس في (ف م ١).

وفي شعبان مات الأمير هارون بن المعتضد.

وفيها(١) ورد الخبر بأن غِلمان سيف الدولة نَصَّبوا ابنَه أبا المعالي شريف مكان أبيه، ومَضَوا إلى مَيَّافارِقين حتى يسيروا به إلى حلب، واجتازوا بديار مُضَر، وأقطع بها ضياع هبة الله بن ناصر الدولة لبني نهر(٢)، ثم سار إلى حلب.

وسار أبو المُظَفَّر حَمْدان بن ناصر الدولة من الرَّحْبَة إلى الرقَّة فأقام بها، وكان قد قلَّد حربَها وخراجَها أبا الهيثم بن القاضي أبي حُصين، فأوقع بأهلها المَكاره، وأخذ منهم ثلاث مئة ألف درهم فدفعها إلى حَمْدان، ومن جُملة من صادر قاضيها ابن حبيب من أهلها.

وكان مسير حمدان إلى الرقة مُقارَبةً لأخيه أبي تغلب حيث قبض أباه، واستوحش من أخيه، وبعث إليه، وطلب أباه، فسار إليه أبو تغلب بعسكر حلب، فتحصّن حمدان بالرَّافقة، وأغلق أبوابها.

وبعث أبو تغلب أخاه أبا البركات إلى الرَّحْبَة ليَنزعها من نائب حمدان أخيه، فأغلقت زوجتُه ـ وهي بنت أبي العلاء سعيد بن حمدان ـ أبواب الرَّحْبة. واتفق إخوة أبي تغلب على رئاسته عليهم، وكتب أبو تغلب إلى عزّ الدولة بختيار يسأله أن يقومَ مقام أبيه في ضمان البلاد بما كان في زمن معزّ الدولة؛ وهو ألف ألف ومئتا ألف درهم في كل سنة، فدخل عز الدولة على الخليفة في ذي القعدة ـ وهو أول يوم دخل عليه فيه بعد موت أبيه ـ فقرَّر أمر أبي تغلب، وأخذ له الخِلَع واللواء والعهد، وأضاف إلى الجزيرة قِنَّسْرين(٣) والعواصم وما كان بيد سيف الدولة، وقرَّر عليه مالاً آخر عن هذه البلاد.

وحج بالناس أبو أحمد النَّقيب.

(١) من هنا إلى قوله: وحج بالناس أبو أحمد النقيب، ليس في (ف م م١).
(٢) كذا، ولم أقف على صوابها.
(٣) في (خ): وجند قنسرين؟!

وفيها توفي

أحمد بن بُوَيْه

أبو الحُسين، الدَّيْلَميّ، الملقَّب مُعزُّ الدولة.

كان يَحتطب على رأسه، ثم ملك البلاد، وقدم بغداد سنة أربع وثلاثين وثلاث مئة، ودخل على المستكفي، وسَمَلَه، ونهبَ دار الخلافة، وقد ذكر ذلك في السنين.

ذكر وفاته:

أصْعَدَ من واسط وهو عَليل من تَنْعيظةٍ لحقته في ذلك اليوم؛ وهو يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من شهر ربيع الأول، وعرض له قَذْفٌ مُتَّصل[1]، وخَلّف عَسكرَه وغلمانَه وجميعَ جيشه بواسط مع الحاجب سُبُكْتِكين، على أن يُقيم ببغداد عشرين يوماً، ثم يعود لاستتمام ما شرع فيه من أمر العُمران، ووصل إلى بغداد يوم السبت لليلة خلت من شهر ربيع الآخر، وزادت علَّته، ولحقه شخٌّ عظيم، ولم يكن يبيت الغداءُ في معدته، فمات يوم الاثنين لثلاث عشرة بقيت من ربيع الآخر بعد المغرب؛ وهو أول يوم من نيسان، ودُفن بداره التي بناها من الغد بعد أن أظهر التَّوبةَ من ذنوبه، ورفع ضمان الشّرط والحِسْبة والقَبّان ببغداد، ورَدَّ على القاضي أبي تمام الحسن بن محمد الهاشمي ما أخذ من ضِياعه، واعتقد أنه بردِّ المظالم يُمَدُّ له في العمر.

وكانت إمارته إحدى وعشرين سنة وأحد عشر شهراً ويومين.

وقال الخطيب[2]: لما نزل به الموت أمر بأن يُحْمَل إلى بيت الذَّهب، وطلب القاضي أبا تَمَّام؛ وكان قد صادره وأخذ مالَه وضياعه فردها عليه، وبكى وتاب، وحضر وقتُ الصلاة، فقام القاضي ليخرج، فقال له: إلى أين؟ قال: أصلي، قال: صل ها هنا، قال: هذه دار مَغصوبةٌ لا تصحُّ الصلاةُ فيها[3].

---

(١) ذكر مترجمو معز الدولة أنه توفي بعلة الذَّرَب أو الإسهال أو داء البطن، انظر تكملة الطبري ٤٠٧، والمنتظم ١٤/ ١٨٣، والكامل ٨/ ٥٧٥، وتاريخ الإسلام ٨/ ٩٢، والسير ١٦/ ١٨٩، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ١٠٦، والوافي بالوفيات ٦/ ٢٧٨، والبداية والنهاية ١١/ ٢٦٣، والنجوم الزاهرة ٤/ ١٤، وشذرات الذهب ٣/ ١٨.

(٢) كذا نسب القول إلى الخطيب، ولم نقف عليه في تاريخه، ولم يترجم لمعز الدولة، وهو في المنتظم ١٤/ ١٨٣ من كلام ابن الجوزي.

(٣) هذه الحادثة في تكملة الطبري ٤٠٧ منسوبة إلى أبي عبد الله البصري وصاحبه أبي القاسم الواسطي.

وكان معزُّ الدولة أوَّلَ مَن أحدث ببغداد سبَّ الصحابة، ويوم عاشوراء، ويوم الغَدير، ونحو ذلك، وسأل القاضي عن الصحابة ﷺ،فذكر سَوابقَهم، وأن علياً رضوان الله عليه زَوَّج عمر رضوان الله عليه ابنتَه أم كلثوم، فاستعظم ذلك وقال: والله ما علمتُ بهذا، وتصدَّق بأموالٍ كثيرة، وأعتق مماليكه، وردَّ كثيراً من المظالم، وبكى حتى غُشي عليه.

وقال أبو الحسين العَلَويّ: بينا أنا في داري على دجلة بمَشْرَعة القَصَب؛ في ليلة ذات غَيْمٍ ورَعدٍ وبَرقٍ ومَطر إذ سمعتُ هاتفاً يقول: [مجزوء الكامل]

لـمَّـا بَـلَـغـتَ أبـا الـحـسـيـ ... نِ مُـرادَ نَـفْـسِـك فـي الـطَّـلَـبْ
وأَمِـنْـتَ مـن نُـوَبِ الـلّـيـا ... لـي واحْـتَـجَـبْـتَ عـن الـنُّـوَبْ
مُـدَّت إلـيـك يـدُ الـرَّدى ... فـأُخِـذْتَ مـن بـيـتِ الـذَّهَـبْ[1]

فمات في تلك الليلة.

وكان له هَناتٌ وحَسَنات، أما الحسنات فكان قد سَدَّ فُوَّهَةَ نهر الرُّفَيْل، وشَقَّ النَّهْرَوانات، وعمل المغيض بالسِّنْديَّة، وردَّ مواريثَ ذوي الأرحام.

ولما توفي جلس مكانَه ولدُه بختيار بعهدٍ منه، وجاء في ذلك اليوم مطرٌ شديد، وبعث بختيار مَن حفظ شوارع بغداد، وبعث إلى الحاجب سُبُكْتِكين بأن يَقْدم من واسط بالعساكر، فقدم، وركب بختيار للقائهم ـ ويقال: إن المطيع أيضاً ركب ـ فلما أقبل عزُّ الدولة؛ وأذناب خيله مُهْلَبة[2]، وسُروجه مُقْلَبة، ولم يره الناس في صدر الموكب على عادته ارتفع الضَّجيجُ والصُّراخ، وبكا بختيار والمُطيع والرجال والنساء، فلم يُرَ ببغدادَ باكياً مثل ذلك اليوم، واشتغل الناسُ بالحُزن عليه عن الحركة؛ حتى الشطار والجُند، ودفع بختيار للجُنْد رزقاً منه، وقام بالأمر أحسن قيام.

(١) تكملة الطبري ٤٠٩، والمنتظم ١٤/ ١٨٣، ووفيات الأعيان ١/ ١٧٦، والوافي ٦/ ٢٧٩.
(٢) يعني مقطوعة أو منتوفة الشعر.

أحمد بن عبد الله

ابن محمد المُزَنيّ، أبو محمد، الهَرَوي، المُغَفَّلي. منسوب إلى عبد الله بن مُغَفَّل الصحابي رضي الله عنه.

من أعيان أهل خُراسان، سافر إلى البلاد، وتوفّي ببُخارى في رمضان، وحمل الوزير أبو عبد الله البَلْعَمي بهَراة(١).

وكان قد جاور بمكة، وحجَّ بالناس، وخطب بمكة، وقُدِّم إليه المقام وهو قاعد في البيت جوفَ الكعبة، ولم يكن هذا لغيره.

وكان لما جاور بمكة جاءه كتاب من مصر بأن يُقيم الحج للناس، ويصلي بعرفات ومنى، ففعل، وأتمّ الصلاة بمنى، فأنكروا عليه فقال: أنتم سَفْر وأنا مُقيم.

أسند عن خلقٍ كثير، وأجمعوا على فضله ودينه وصدقه وأمانته.

ومن شعره: [من الوافر]

نَزلْنا كارهين بها فلما ... أَلِفْناها خَرَجْنا مُكْرَهينا
وما حُبُّ الدِّيارِ بنا ولكن ... أَمَرُّ العيشِ فُرْقَةُ مَن هَوِينا

جعفر بن أحمد بن الحارث

أبو محمد، المَراغيّ.

مُحَدِّث مَشهور قال: أنشدني منصور بن إسماعيل الفقيه: [مجزوء الكامل]

الكَلْبُ أحسنُ عِشْرةً ... وهو النِّهايةُ في الخَساسَهْ
مِمَّن يُنازع في الرِّئا ... سةِ قبلَ أوقاتِ الرِّئاسَهْ(٢)

قال: وأنشدني منصور أيضاً:

لي حِيلةٌ فيمَن يَنُمُّ ... وليس في الكَذَّابِ حِيلَهْ
مَن كان يَخلُق ما يقو ... لُ فحيلتي فيه قليلَهْ(٣)

---

(١) في تاريخ الإسلام ٨/ ٩٤، والسير ١٦/ ١٨٣، وطبقات السبكي ٣/ ١٩: قال الحاكم: ورأيت الوزير أبا علي البلعمي وقد حمل في تابوته وأحضر إلى باب السلطان يعني ببخارى للصلاة عليه.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٦/ ٨٠، وشعب الإيمان (٧٩١٥)، وجامع بيان العلم (٩٨٤)، وانظر تاريخ الإسلام ٨/ ٩٧.

(٣) مختصر تاريخ دمشق ٦/ ٨٠، والسير ١٤/ ٢٣٨.

عليّ بن الحسين

ابن محمد بن أحمد بن الهيثم بن عبد الرَّحمن بن مروان بن عبد الله بن مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص، أبو الفَرَج، الأَصْبَهاني، الأُمويّ، الكاتب.

ولد سنة أربع وثمانين ومئتين، وكان عالماً بأيام الناس، والأنساب، والسِّيَر، والآداب، والأخبار.

وكان شاعراً مُحْسِناً، وصنَّف كُتباً كثيرة منها: «الأغاني الكبير»، و«مُجَرَّد الأغاني»، و«مقاتل الطالبيين»، و«الدِّيارات»، و«آداب الغُرباء»، و«أخبار الإماء الشواعر»، و«مرج البحرين»[1]، و«أيام العرب» ذكر فيه ألفاً وسبع مئة يوم، ووقع له بالأندلس مصنَّفات لم تصل إلى هذه البلاد، منها كتاب: «نسب بني عبد شمس»، وكتاب «التَّعديل»، و«نسب بني شيبان»، و«نسب المَهالبة»، و«بني ثعلب» و«بني كَلاب»، وكتاب «الغلمان»، وغير ذلك.

ومات ببغداد في ذي الحجة هذه السنة، وقيل: سنة سبع وخمسين وثلاث مئة.

حدَّث عن خلق كثير، وكان الغالب عليه رواية الأخبار والآداب، وقد طُعن عليه من حيث الديانة لا من حيث الرواية، وكان يتشيّع.

قلت: وقد ذكره قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن خَلِّكان رحمه الله في كتابه المسمى بـ«وفيات الأعيان»، وقال: كان مُنقَطِعاً إلى الوزير المُهَلَّبي، وله فيه مدائح، فمن شعره فيه: [من الطويل]

ولـمـا انْـتَـجَـعْـنـا لائـذيـن بـظِـلِّـه ... أعـان ومـا عـنَّـى ومَـنَّ ومـا مـنَّـا

ورَدْنـا عـلـيـه مُـقـتِـريـن فـراشَـنـا ... ورُدْنـا نَـداه مُـجْـدِبـيـن فـأَخْـصَـبْـنـا

قال: وله فيه من قصيدة يُهَنِّه بمولودٍ جاءه من سُرِّيّة رومية: [من الكامل]

اسْـعَـد بـمـولـودٍ أتـاك مُـبـاركـاً ... كـالـبَـدْرِ أشرقَ جُـنْـحَ لـيـلٍ مُـقْـمِـرِ

سَـعْـد لـوقـتِ سـعـادةٍ جـاءت بـه ... أمٌّ حَـصـانٌ مـن بـنـاتِ الأصْـفَـرِ

---

(١) لم أقف على من ذكره له.

obeikandl.com

مُـتَـبَـجِّـحٌ فـي ذِرْوَتَـيْ شَـرَفِ الـورى   بـيـن الـمُـهَـلَّـبِ مُـنْـتَـمـاه وقـيـصـرِ
شمسُ الضُّحى قُرِنتْ إلى بدرِ الدُّجى   حتى إذا اجـتـمـعـا أتـتْ بـالـمُـشْـتـري

وكتب إلى بعض الرؤساء وكان مريضاً: [من البسيط]

أبـا مـحـمـدٍ الـمـحـمـود يـا حَـسَـنَ الـ   إحسان والجود يا بحرَ النَّدى الطَّامي
حـاشـاك مـن عَـوْدِ عُـوَّادٍ إلـيـك ومـن   دواءِ داءٍ ومـن إلـمـام آلام[1]

[وفيها توفي]

سيف الدولة

علي بن عبد الله أبي الهيجاء بن حَمْدان بن حَمْدون، أبو الحسن[2].

سيِّدُ بني حمدان وصَدْرُهم ومَن يدور عليه أمرُهم.

[قال الحافظ ابن عساكر:] وُلد في ذي الحجة سنة إحدى وثلاث مئة، وقيل: سنة ثلاث وثلاث مئة، ونشأ في الجزيرة، وتعلَّم الفروسية وبَرَع فيها، وقدم الشام سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مئة، وجرت له مع الإخشيد وقائع، فلما مات الإخشيد بدمشق سنة أربع وثلاثين وثلاث مئة، وتوجَّه كافور مع أنوجور إلى مصر، جاء سيف الدولة فأخذ دمشق، وركب فسايره الشَّريف العَقيقي، فجَرت مُباحثة، فقال سيف الدولة: مُمازحاً للعقيقي: ما تصلح هذه الغوطة إلا لرجلٍ واحد، فأخبر العقيقي أهلَ دمشق، فكتبوا إلى كافور وأنوجور بالقدوم عليهم ليساعدوهما على سيف الدولة، فجاءا فدفعاه عنها، وصالحاه على أن يكون بيده ما كان بيده زمن الإخشيد وهي: حمص وحلب وأنطاكية والثغور، فعاد إلى حلب وأقام يجاهد الروم إلى أن مات[3].

وذكره أبو منصور الثعالبي في كتاب «يتيمة الدهر» فقال: كان بنو حَمْدان ملوكاً[4]، أوجُههم للصَّباحة، وألسنتُهم للفصاحة، وأيديهم للسَّماحة، وعُقولهم للرَّجاحة،

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٣٠٨، وانظر ترجمته في تاريخ بغداد ١٣/ ٣٣٧، ومعجم الأدباء ١٣/ ٩٤، والمنتظم ١٤/ ١٨٥، وتاريخ الإسلام ٨/ ١٠٠، والسير ١٦/ ٢٠٢. ومن ترجمة أحمد بن بويه إلى هنا ليس في (ف م ١).

(٢) بعدها في (ف م ١): وسنذكر سنه في ترجمة أخيه ناصر الدولة وبدايتهم، وكان أبو الحسن علي بن عبد الله يلقب بسيف الدولة.

(٣) تاريخ دمشق ١٩/ ٥١ ـ ٢٠.

(٤) في (خ): وقال الثعلبي: كانوا بنو حمدان ملوكاً، والمثبت من (ف م ١).

وسيف الدولة مَشهور بسيادتهم، كان غُرَّةَ الزمان، وعماد الإسلام والإيمان، وبه سِدادُ الثُّغور، وقِوام الأمور، ووقعاتُه في طوائف العرب مشهورة، وصَرْعاته لهم مأثورة، ولم يزل يَفُلُّ أنيابها، ويُذِلُّ صِعابَها، وغزواته تُدرِك من طاغية الروم بالثار، ويُحسِن في الإسلام الآثار، وحضرتُه مَقْصِدُ الوفود، ومَطْلَع السُّعود والجود، ومَحَطُّ الرِّحال، وقِبلةُ الآمال، ومواسم [الأدباء، ومراسم] العلماء والفضلاء والشعراء.

قال: ويقال: إنه لم يجتمع بباب أحد من الملوك ما اجتمع ببابه من أهل العلم وشيوخ العصر.

وكان شاعراً، أديباً، فصيحاً، شديدَ الاهتزاز عند المدائح[1]، أقام المتنبي عنده أربع سنين، فوَصَله بنيِّفٍ وثلاثين ألف دينار.

وقال عبد الله بن أحمد بن معروف: كنت بحلب عند الحسن بن محمد الصّلحي وأبي القاسم ابن المغربي كاتبَي سيف الدولة، فدخل شيخٌ ضرير، فسلَّم عليهما وقال: لي إلى الأمير سيف الدولة حاجةٌ، ومعي رُقعةٌ إليه، وأخرجها وإذا فيها طول، فقالا: هذه رقعةٌ طويلة، وربّما لا يَنبسط الأمير لقراءتها فاختصِرْها، فقال: ما أريد [إلا] أن تعرضاها عليه، فدفعاه، فقام يَجُرُّ رجلَيه وهو مُنكسِرُ القلب، فتداخَلَتْني له رِقَّةٌ، ودخلتُ على سيف الدولة فجلستُ، وإذا بالحاجب قد عرض عليه رقعة وفيها: فلان ابن فلان المَوصليّ الضَّرير ـ وما كان يدخل عليه أحد حتى يُكتَب اسمُه ويُعرَض عليه ـ فقال: وهذا يعيش؟! إئذن له، فما أظنُّه مع ما كنتُ أعرفُ من زُهده في الملوك، وتركه الدنيا، قَصَدني إلا من شِدَّةٍ شديدة.

فدخل الشيخ بعينه فسلَّم، فاستَدْناه ورحَّب به وقال: إليَّ إلي، أما سمعتَ بنا في الدنيا، أما آن أن تزورَنا مع ما لك عندنا من الخِدمة والحُرْمَة والسَّبب الأكيد؟!

فقام الضرير قائماً، وسلَّم إليه الرُّقعةَ بعينها، فقرأها كلَّها فقال: أين يونس بن بابا؟ ـ وكان خادمه[2] ـ فحضر فأَسَرَّ له بشيء، وأسرَّ إلى جماعة بشيء، فأحضر بعضُهم دنانير، وبعضهم كسوة، وبعضهم فُرُشاً وطيباً وفرساً وبغلاً؛ يساوي البغل ثلاثة آلاف

(١) يتيمة الدهر ١/ ٣٧، وعنه تاريخ دمشق ٥١/ ٢٠.

(٢) في الفرج بعد الشدة ٣/ ٣٩: خازنه.

درهم، وترك الجميعَ بين يدي الشيخ وكان يساوي ألوفاً، ثم قال لهم: أخلوا له داراً سَمَّاها، وكتب إلى الموصل بأن يُجرى على عياله ما يكفيهم.

ثم قال لكاتبه أبي إسحاق بن شهرام: اعتذر إليه، وعَرِّفه أنه جاءنا في آخر السنة وقد اقتَسمت أموالَنا الحقوقُ والزُّوَّار والجيوش.

فجاء ابن شهرام إلى الشيخ، فأخبره بما أطلق له والكلُّ حاضر، وكان يُعجبه إذا أطلق شيئاً لإنسان أن يُشاهده.

قال ابن معروف: فقلتُ لأبي إسحاق: لا تُورد على الشيخ هذا عَقيب اليأس العظيم الذي لحقه فتَنشقَّ مَرارتُه، فبكا بكاءً شديداً وقال: أيها الأمير، قد زدتَ على ما كان في ضميري بدرجات، فإن رأيتَ أن تأذنَ لي بتقبيل يدك؛ فإنه أعظم عندي من كلِّ عَطيَّة، فدنا الشيخُ منه فقبَّل يده، فسارَّه سيف الدولة بشيء. وانصرف الشيخ إلى الدار التي أُعِدَّت له، وقال له: أقم عندنا حتى نَنْظُرَ في أمرك.

قال ابن معروف: فسألتُ الخادم ما الذي أسرَّ إليه؟ فقال: أمر له بجاريةٍ وَصيفةٍ بِكْر من جواري أخته، ومعها حُليّ وجواهر تزيد على عشرة آلاف درهم، فحُملت إليه.

قال ابن مَعروف: فقلتُ، أيها الأمير، لم نسمع عن أحدٍ من أهل الأرض قديماً ولا حديثاً بمثل هذا العطاء إلا عندك، فقال: دعني من هذا وأخبرني عن قولك: لا تورد على الشيخ هذا عَقيب الإياس فتَنشقَّ مَرارتُه! فقلت: كنتُ عند الصُّلحي وابن المغربي منذ ساعة، وجاء هذا الشيخ ومعه الرُّقْعَة، وقصصتُ عليه القصة، وقلتُ في آخرها: انصرف هذا الشيخ أخزى مُنْصَرف، وجاء إلى الأمير فعامله بمثل هذا، فخفتُ عليه.

فغضب غضباً شديداً وقال: عليَّ بالصّلحي وابن المغربي، فحضرا فقال: وَيْحَكما، ألم أُحسن إليكما، ألم أَصطَنِعْكما وأُنوِّه بذكركما، وأُسني أرزاقكما وجوائزَكما، وعدَّد إحسانَه إليهما، وهما يشكرانه، فقال: ما أُريد هذا، وإنما أُريد أن تقولا: لا أو نعم، فقالا: بلى وزيادة، فقال: من حَقِّي عليكما وشكري أن تقطعا رجاء مُؤَمِّلٍ مني، وتؤيسا قاصِدي من بِرّي، وتَنسباني إلى الضَّجَر والمَلَل؟! ما كان عليكما لو أخذتُما رُقعةَ الضَّرير، فإن أجرى الله على يدي شيئاً كنتما شَريكَيَّ فيه، وإن ضجرتُ كان الضَّجَر منسوباً إليّ وأنتما بريئان منه؛ وقد قضيتما حقَّ قاصِدِكما، فلا حَقَّه قضيتُما،

ولا حقَّ الله فيما أخذه على ذي الجاه من بذل جاهه، ولا حقَّ إنعامي عليكما، وبالغ في ذَمِّهما حتى كأنهما قد جَنيا جِناية، فأخذا يَحلفان: ما أرَدْنا إلا التَّخفيف عن الأمير بقراءة رقعةٍ طويلة، لينقلها إلى لطيفة[1]، وجعل الحاضرون يتعجَّبون أن هذا التَّأنيب لهما أحسن من عطائه للشيخ ما أعطاه.

ومن شعره: [من الطويل]

وساقٍ صَبوحٍ[2] للصَّبوحِ دَعوتُه ... فقام وفي أجفانه سِنَةُ الغَمْضِ
يَطوفُ بكاساتِ العُقارِ كأنْجُمٍ ... فمن بين مُنْقَضٍّ علينا ومُنْفَضِّ
وقد نَشرت أيدي الجَنوبِ مَطارِفاً ... على الجَوِّ دُكْناً والحواشي على الأرضِ
يُطَرِّزُها قوسُ السَّحابِ بأصفَرٍ ... على أحمَرٍ في أخضَرٍ إثْرَ مُبْيَضِّ
كأذيال خَودٍ أقبلتْ في غَلائلٍ ... مُصَبَّغَةٍ والبعضُ أقصرُ من بعضِ

قلت: قال قاضي القضاة شمس الدين رحمه الله: وهذا من التَّشبيهات الملوكيَّة التي لا يكاد يَحضُر مثلها للسُّوقة[3]، والبيت الأخير أخذ معناه أبو الفرج بن محمد ابن الإخوة، فقال في فَرَسٍ أدْهَم مُحَجَّل: [من الخفيف]

لَبِسَ الصُّبْحَ والدُّجُنَّةَ بُرْدَيْـ ... ـنِ فأرخى بُرْداً وقَلَّص بُرْدا

وقال: كان لسيف الدولة جاريةٌ من بنات ملوك الروم في غاية الجَمال، فحسدها بقيَّةُ الحَظايا لقُربها منه، ومَحَلِّها من قلبه، وعَزَمْنَ على إيقاع مَكروهٍ بها من سُمٍّ وغيره، فبلغه الخبر، فخاف عليها، فنقلها إلى بعض الحصون احتياطاً، وقال فيها: [من الخفيف]

راقَبَتْني العيونُ فيك فأشفقْـ ... ـتُ ولم أخْلُ قطُّ من إشفاقِ
ورأيتُ العدوَّ يَحْسُدني فيـ ... ـكِ مُجِدّاً يا أَنْفَسَ الأعلاقِ
فتَمنَّيتُ أن تكوني بعيداً ... والذي بيننا من الوُدِّ باقِ
رُبَّ هَجْرٍ يكون من خوفِ هَجْرٍ ... وفراقٍ يكون خوفَ فراقِ

---

(١) في (خ): بقراءة رقعة غيرها لطيفة، والخبر بطوله ليس في (ف م م١)، والمثبت من الفرج بعد الشدة ٣/ ٤٢.

(٢) في يتيمة الدهر ١/ ٥٣، وتاريخ دمشق ٥١/ ٢١، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٠٢: صبيح.

(٣) هذا الكلام للثعالبي في يتيمة الدهر ١/ ٣٥، نقله عنه قاضي القضاة شمس الدين ابن خلكان في وفيات الأعيان ٣/ ٤٠٢.

obeikandi.com

ومن شعره: [من مجزوء الوافر]

أُقَبِّلُه على جَزَعٍ كشُرْبِ الطائرِ الفَزِعِ
رأى ماءً فأطمعه فخافَ عَواقِبَ الطَّمَعِ
وصادفَ خُلْسَةً فدنا ولم يَلْتَذَّ بالجُرَعِ

ومن شعره: [من الطويل]

تَجَنَّى عليَّ الذَّنبَ والذَّنْبُ ذَنْبُه وعاتبني ظُلماً وفي شِقِّه العَتْبُ
إذا بَرِمَ المَولى بخِدْمةِ عَبْدِه تَجَنَّى له ذَنْباً وإن لم يكن ذَنْبُ
وأعْرضَ لمَّا صار قلبي بكَفِّه فهلّا جَفاني حين كان ليَ القَلْبُ

ويحكى أن سيف الدولة كان يوماً بمجلسه والشعراء يُنشدونه، فتقدَّم رجلٌ رَثُّ الهيئة وأنشد: [من المنسرح]

أنت عليٌّ وهذه حلبُ قد نَفِدَ الزَّادُ وانتهى الطَّلَبُ
بهذه تَفخرُ البلاد وبالـ أميرتُزهى على الوَرى العَربُ
وعبدُك الدهرُ قد أضرَّ بنا إليك من جَور عبدك الهَرَبُ

فقال سيف الدولة: أحسنتَ والله، وأمر له بمئتي دينار.

وقال: لما وصل الخالديّان إلى حضرة سيف الدولة ومدحاه؛ أنزلهما، وقام بواجب حقِّهما، وبعث لهما مرَّةً وَصيفاً ووصيفة، ومع كلِّ واحدٍ منهما بَدْرة، وتخت ثياب من عمل مصر، فقال أحدهما من قصيدة طويلة: [من الكامل]

لم يَغْدُ شُكرُك في الخلائق مُطلقاً إلا ومالُك في النَّوال حَبيسُ
خَوَّلْتَنا شمساً وبدراً أشرقت بهما لدينا الظُّلْمَةُ الحِنْديسُ
رَشَأٌ أتانا وهو حُسْناً يوسفٌ وغَزالةٌ هي بهجةً بَلْقيسُ
هذا ولم تَقنَعْ بذاك وهذه حتى بَعَثْتَ المالَ وهو نفيسُ
أتت الوَصيفةُ وهي تَحملُ بَدْرَةً وأتى على ظَهر الوَصيفِ الكيسُ
وأَجَزْتَنا مما أجادت حَوْكَه مصرٌ وزادت حُسْنَه تِنِّيسُ
فغدا لنا من جُودك المأكول والـ مشروب والمَنْكوحُ والمَلْبوسُ

فقال له سيف الدولة: أحسنتَ إلا في لفظة المنكوح؛ فليست مما يُخاطَب الملوك بها.

وكتب إلى أخيه ناصر الدولة: [من الطويل]

وَهَبْتُ لك العليا وقد كنتَ أهلَها ... وقلتُ نعم بيني وبين أخي فَرْقُ
وما كان بي عنها نُكولٌ وإنما ... تَجاوزْتُ عن حقِّي فتمَّ لك الحَقُّ
أما كنتَ ترضى أن أكون مُصَلِّياً ... إذا كنتُ أرضى أن يكون لك السَّبْقُ[1]

ذكر وفاته:

مرض بعلَّةِ الفالج قديماً، ثم أخذه عُسْر البول.

[قال الحافظ ابن عساكر:] توفي بحلب يوم الجمعة عاشر صفر أو لخمس بقين منه[2].

وتولى أمره القاضي أبو الهيثم بن أبي الحُصين، وغسله عبد الحميد بن سهل المالكي قاضي الكوفة، غسَّله تسع مرات أولاً بالماء والسِّدر، ثم بالصَّنْدَل، ثم بالذَّرِيْرة، ثم بالعَنْبر، ثم بالكافور، ثم بماء الوَرْد، ثم بماء المِسك، ثم بماء القَراح أخيراً، ثم غسله غُسلين، ونُشِّف بثوب دَبيقي ثمنه خمسون ديناراً، وكُفِّن في سبعة أثواب تساوي ألفي دينار فيها قميصُ قَصَب؛ بعد أن صُبر بمئة مثقال غالية، ومَنَوين كافور، وصلى عليه أبو عبد الله بن الأقساسي العلوي الكوفي، وكبَّر عليه خمساً، وحُمل في تابوت إلى مَيَّافارِقين مع مملوكه تقي، فوصل إليها في ربيع الآخر، فلما وصل إلى التربة التي بناها لنفسه أخرجه من التابوت بوصيَّةٍ منه، ووضعه في لَحْده، وجعل تحت خَدِّه لَبِنَةً صغيرة من تُرابٍ جَمعه من دِرْعه وقت لقائه للعدو ودخوله بلاد الروم، ودفن عند أمه وأخيه، وعمره ثلاث وخمسون سنة[3] [على حسب ما ذكرنا من مولده].

وكانت إمارته ثلاثاً وعشرين سنة.

---

(١) انظر فيما سلف من أشعار: تكملة الطبري ٤١٢، ويتيمة الدهر ١/ ٤٢ ـ ٥٦، وتاريخ دمشق ٥١/ ٢١، والكامل ٨/ ٥٨٠ ـ ٥٨١، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٠٢ ـ ٤٠٥، وتاريخ الإسلام ٨/ ١٠٣.

(٢) تاريخ دمشق ٥١/ ٢٢، وما بين معكوفين من (ف م م١).

(٣) الأعلاق الخطيرة ١/ ٣١٣ ـ ٣١٥.

وملك أبو المعالي سعد الدولة وبين يديه قرغويه.

وقيل: لما حمل تقيّ تابوتَه إلى مَيَّافارِقين قدمها سعد الدولة، فأراد تقي أن يقبضه ويستولي على الأمر، وعلم به سعد الدولة، فقبض على تقي، واستأصله، وحبسه في حصن كيفا.

وقد مدح سيف الدولة خلقٌ كثير[١]، واختصّ به المتنبي، وممن اختصَّ به الخالديّان، وهما شاعران مُجَوِّدان من قرية ببلد الموصل، وهما محمد وسعيد ابنا هاشم، وهما يشتركان في النظم، ولهما ديوان مشهور، وأنشد أحدهما يوماً سيف الدولة قصيدته التي يقول فيها: [من الهزج]

تَـصُـدُّ ودارُهـا صَـدَدُ ... وتُـوعِـدُه ولا تَـعِـدُ

إلى أن قال في المديح:

بـوجـهٍ كـلّـه قَـمَـرٌ ... وسـائـرُ جِـسْـمِـه أَسَـدُ

فعجب سيف الدولة، وجعل يُرَدِّد هذا البيت، وكان عنده الشَّيْظَمي الشاعر، فقال لسيف الدولة: احْمَد ربَّك فقد جعلك من عجائب البحر[٢].

ومن شعر محمد بن هاشم الخالدي في دير مُرَّان: [من البسيط]

يا ديرَ مُرَّان لا تَعْدَم دُجى وضُحى ... سِجالَ غَيثٍ مُلِثِّ الوَدْقِ سَحّاحِ[٣]

إن تُفْنِ كأسَك أكياسي فإن بها ... يَفُلُّ جَيشُ هُمومي جيشَ أفراحي

يوسف بن عمر

ابن محمد بن يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن حمَّاد بن زيد بن دِرْهم، أبو نصر، الأزديّ، القاضي.

---

(١) بعدها في (ف م م١): انتهت ترجمة سيف الدولة والحمد للّه وحده وصلى الله على أشرف خلقه محمد وآله وصحبه وسلم، السنة السابعة والخمسون وثلاث مئة.

(٢) تاريخ دمشق ٥١/ ٢١.

(٣) في (خ): سقاك غيث... سجاج، والمثبت من يتيمة الدهر ٢/ ٢٢٠.

ولد سنة خمس وثلاث مئة، وما زال منذ نشأ فتى، نبيلاً، عفيفاً، جميلاً، حاذقاً بصنعة القضاء، بارعاً في علم الأدب والكتابة، حسنَ الفصاحة، واسعَ العلم باللغة والشعر، تامَّ الهَيبة.

ولي القضاء بمدينة السلام في حياة أبيه وبعد وفاته.

قال الخطيب: ولا يُعرف في القضاء أعرف منه ومن أخيه الحسين، فإنهما وليا القضاء بالحيرة، وكذا أبوهما عمر، وجدُّهما محمد، وأبوه يوسف، فأما يعقوب فإنه وَلي قضاء مدينة النبي ﷺ، ثم تقلّد فارس.

وكان أبو نصر فصيحاً، وله شعر، فمنه: [من المجتث]

يا مِحْنةَ الله كُفِّي ... إنْ لم تَكُفِّي فخِفِّي
ما آنَ أن تَرْحَمينا ... من طولِ هذا التَّشَفِّي
خَرجتُ أطلبُ بَخْتي ... فقيل لي قد تُوفِّي[1]

---

(١) تاريخ بغداد ٦/ ٤٧٣، والمنتظم ١٤/ ١٨٣، وتاريخ الإسلام ٨/ ١٠٨.

obeikandl.com